المحاضرة 13: قضايا النقد عند حازم القرطاجني

تمهيد:

تناول النقاد الأندلسيون قضايا نقدية مختلفة على غرار نظرائهم المشارقة كقضية اللفظ والمعنى ومفهوم الشعر والسرقات وغيرها، إلاّ أننا لا نجد كبير اختلاف بينهم، وكان حازم القرطاجني من أبرز النقاد الأندلسيين الذين تركوا بصمة مميزة في النقد العربي القديم انطلاقًا من تأثره بالنقد اليوناني: فما هي القضايا النقدية التي تناولها القرطاجني في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"؟.

قضايا النقد عند حازم القرطاجني: تناول كثيرًا من القضايا النقدية أهمها:

1- **مفهوم الشعر:** لم ينفِ حازم أنّ الشعر كلام موزون ولكنّه وقف من هذا التعريف عند ناحية التأثير أي فعل الشعر في التحبيب والتنفير لأنّ الشعر يعتمد على حسن التخييل (المحاكاة) أو الصدق او الاغراب فيقول: "أحسن الشعر ما حسنت محاكاته وهيأته وقويت شهوته أو صدقه أو خفي كذبه وقامت غرابته[1].

ويرى أنّ كمال الشعر يقوم على عوامل خارجية وأخرى داخلية.

فالعوامل الخارجية يحددها في ثلاث عناصر هي:

- **المهيئات:** مهيئات بيئية كالمأكل والهواء الجميل والمنظر الجميل ثم المهييء الثاني النشأة أي نشأة الشاعر بين البلغاء والفصحاء حتى يكسب الكلام الفصيح وقواعد الشعر من وزن وقافية وايقاع.
- **الأدوات:** هي العلوم التي تتناول الألفاظ والمعاني.
- **البواعث:** هي الدوافع النفسية والعواطف الانسانية كالشوق والحنين والفرح والغضب.

---

[1] – المنهاج ص71.

أما العوامل الداخلية لكمال الابداع الشعري فيحصرها في عوامل ثلاث:

- **القوة الحافظة:** وهي التفكير المنظم التي تدفع إلى تنظيم الصور.
- **القوة المائزة:** قوة داخلية تعين الشاعر على التمييز ما يناسب اللغة والأسلوب والنظم والغرض.
- **القوة الصانعة:** هي القوة التي بواسطتها يستطيع الشاعر ان يربط بين اللفظ والمعنى والتركيب والصور فإذا توافرت كل هذه القوى لدى الشاعر سماها "الطبع الجيد".

ويذهب القرطاجني إلى أنّ الشعر لا يستقيم إلاَّ بالتخييل فهو قوام الشعر يقول: "الشعر كلام مخيَّل موزون مختص في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك والتئامه من مقدمات مخيَّلة، صادقة أو كاذبة لا يشترط فيها – بما هي شعر– غير التخييل"[2].

والتخييل الشعري عند حازم يأتي من أربع جهات: المعنى، الأسلوب، اللفظ، النظم والوزن[3] ثم يقسم التخييلات إلى قسمين: تخييلات ضرورية وغير ضرورية فيقول: "وينقسم التخييل بالنسبة إلى الشعر قسمين: تخييل ضروري وتخييل ليس بضروري ولكنّه أكيد أو مستحب لكونه تكميلا للضروري وعونًا له على ما يراد من انهاض النفس إلى طلب الشيء أو الهروب منه، والتخاييل الضرورية هي تخاييل المعاني من جهة الألفاظ والأكيدة والمستحبة تخاييل اللفظ في نفسه وتخاييل الآسلوب وتخاييل الأوزان والنظم وأكد ذلك تخييل الأسلوب[4] .

<u>مقومات التخيل الشعري</u>[5]: يقوى التخييل الشعري بـ:

- أن يختار الشاعر المعنى المناسب للحال التي فيها القول أو لغرض الشاعر.

---

[2] – المنهاج ص89.

[3] – التفكير النقدي عند العرب ص337.

[4] – المنهاج ص89.

[5] – التفكير النقدي عند العرب ص338–339.

- أن يؤتي في الكلام بما يبعث على التعجيب والاستغراب .
- العمل على تحسين هيئات الألفاظ والمعاني وتريباتها في أنحاء العالم.

أما المحاكاة فقط أعطاها حازم الحظ الأوفر في إحداث التخييل في نفس المتلقي وهي المحاكاة التشبيهية ويقسمها إلى:

- أقسام المحاكاة تبعًا لطبيعة المحاكي والمحاكى به.
- أقسام المحاكاة تبعًا لغرضها.
- أقسام المحاكاة تبعًا للوسيط المستخدم في إجرائها.
- أقسام المحاكاة تبعًا لما في الطرفين من ألفة واستغراب .
- أقسام المحاكاة تبعًا للقدم والجدة.

<u>تأثير المحاكاة على النفوس</u>:

يرى حازم القرطاجني أنّ الإنسان مفطور على الإنشاد لإيجاد المحاكاة واستخدامها والتلذذ بها ، وهذا ما دفع الإنسان إلى الولع بالتخييل الذي تفعله المحاكاة والانفعال له انفعال انقباض أو انبساط من دون أن يرى الشيء المخيل ودليله في ذلك على أن تلذذ النفوس بالتخيل الذي تحدثه المحاكاة بأنّ الإنسان يتقزز من رؤية الخِلَق القبيحة المستشبعة التي يقابلها على الحياة، لكنه حين يرى صورها في النقش أو الرسم أو النحت قد يجد في نفسه لذة ومتعة، كما يستدل بقول ابن سينا: "إنّ النفوس تنشط وتلتذ بالمحاكاة"[6] .

يقول عيسى العاكوب: "يجرؤ المرء على القول إنّ حازمًا من أنضج الذهنيات النقدية العربية التي عرفناها... يبدو حازم فيما وصل إلينا في "المنهاج" ناقدًا بلاغيا ألمعيًا، فقد قدَّم صورة لـ "النقد البلاغي" لا نظفر بها عند غيره، وينطلق في هذا النقد من تصور للشعر يرى فيه وسيلة للتأثير في النفوس وتحريكها نحو أمر من الأمور قبولاً أو

---

[6] – المنهاج ص 117.

رفضًا ... يتسم التفكير النقدي عند حازم بالعمق والشمول وقد يرجع ذلك إلى إلمامه بأصول الحكمة والمنطق الأرسطي وهو نفسه يصف صنيعة في المنهاج بـ "البلاغة المعضودة بالأصول المنطقية والحكمية"[7].

تقييم كتاب المنهاج:

يمثل المنهاج إنجازًا نقديًا كبيرًا شمل القدر الأكبر من كليات الصنعة الشعرية وجزئياتها، واستطاع صاحبه أن يدخل كثيرًا من الملاحظ الجمالية والنقدية القديمة ضمن الأنساق والمذاهب البلاغية التي أصَّلها، ولذلك يقول ابن القوبع تلميذ حازم عن كتاب المنهاج "ولما وقفت على قوانين هذا الكتاب ووعتها، وإن كان ترك التمثيل لها، صار كل ما أقرأه فيه من كلام بليغ أو بديع يصير كله لي أمثلة لتلك القوانين[8] .

[7] – التفكير النقدي عند العرب ص349.

[8] – نفسه ص351.